

تَارِيخُ شُعَرَاءِ الْعَرَبِيَّةِ

الإمام الشافعي

شعراء
العصر
العباسي
الأول



مراجعة وتعليق

أحمد عبد الله فرهود

إعداد وشرح

لجنة التحقيق في دار القلم العربي

جميع الحقوق محفوظة لدار القلم العربي بحلب ولا يجوز إخراج هذا الكتاب أو أي جزء منه
أو طباعته ونسخه أو تسهيله إلا بإذن مكتوب من الناشر .



منشورات
دار القلم العربي بحلب

جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الأولى
١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م

عنواين الدرر

سُورِيَّة - حَلَب - خَلْفَ الْفَتْحِ السَّيَّاحِي

شارع هدى الشيعراوي

هاتف / ٢١٣١٢٩ | ص.ب ٧٨ / فاكس ٠٢١،٢١٢٣٦١

نشأته في اليتم

وُلِدَ أبو عبد الله محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع القرشي في مدينة غزّة بفلسطين سنة / ١٥٠ هـ وكان أبوه إدريس قد اضطرّ إلى هذه المدينة النائية عن موطن قريش ، طلباً للرزق والمعاش ، غير أنه توفي وابنه لم يزل في المهّد ، فرجعت به أمّه ، وكانت من الأزْد ، إلى مستقرّ قرابته في مكّة ، وهو ابن ستين .

حفظه القرآن وموطأ الإمام مالك

ما إن غما عود محمد بن إدريس بعض النّمّو حتّى أسلمته والدته الحانية إلى الكتاب ، إلا أنّها لم تكن تملك ما تعطي شيخه من أجرّة ، وهنا بدأت أحاسيس الفتى الناشئ الموهوب تتفتح ليشقّ سبيل المجد الحقيقي بإخلاص العاملين وجهاد الطالبين ، فكان كلّما انشغل المعلّم خلفه على التلامذة ، ورضي منه معلّمه هذا أجرّة .

ولم يَطوّر الغلام اليتيم من عمره سبع سنين حتّى استظهر القرآن ، ثم صار يكتب الأحاديث النبويّة التي يجمعها على ما يوفّره من قطع خزف أو دفّ أو كُرب نجيل أو أكشاف جمال ، أو ظهور أوراق كان يطلبها من دواوين الحكومة ، حتّى ملأ من ذلك جرّة قديغة كانت لدى والدته .

وكان اسم مالك بن أنس رضي الله عنه قد ذاع في كلّ مكان ، فاستعار الشافعي كتابه الموطأ من رجل مكّي ، وحفظه في تسع ليالٍ ظاهراً .

تلميذ الإمام مالك رضي الله عنهما

على عادة مَنْ كانوا يتبتون لنهل الفصاحة من منابعها العذبة ضربَ (١) محمد بن إدريس في بوادي هذيل وغيرها ، وجمع كثيراً من لغتها وأشعارها وقال الشافعي : ((لَمَّا رَجَعْتُ إِلَى مَكَّةَ جَعَلْتُ أَنْشُدُ الْأَشْعَارَ وَأَذْكَرُ الْأَدَابَ وَالْأَخْبَارَ وَأَيَّامَ الْعَرَبِ ، فَمَرَّ بِي رَجُلٌ مِنْ زَيْدٍ فَقَالَ لِي : يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ عَزَّ عَلَيَّ أَلَا يَكُونُ مَعَ هَذِهِ الْفَصَاحَةِ وَالذِّكَاءِ فَقْهٌ ، فَتَكُونُ قَدْ سُدَّتْ أَهْلَ زَمَانِكَ .
وكان يتردد في مكة على أمثال سفيان بن عيينة ومسلم بن خالد الزنجي فنهل عنهما ، ثم رحل إلى الإمام مالك في المدينة المنورة ولَمَّا يَتَجَاوَزُ الثَّانِيَةَ عَشْرَةَ عُمُرَهُ ، فَانْكَبَّ عَلَى مَعِينِهِ يَجْرَعُ وَيَسْتَفِيدُ وَيُرَوِّى أَنَّ الْإِمَامَ قَالَ : ((إِنْ يَكُ أَحَدٌ يُفْلِحُ فِي هَذَا الْغِلَامِ)) وقال أيضاً : ((مَا أَتَانِي قُرَشِيٌّ أَفْهَمُ مِنْ هَذَا الْغِلَامِ ، يَعْنِي الشَّافِعِي)) . .

وقد حفظ له تلميذه فضله ، وظلَّ يقول بعد أن بلغ ما بلغ : ((مالكٌ معلِّمي وأستاذي ، زمنه تعلَّمنا العلم ، وما أحدٌ أَمَنَ عَلَيَّ مِنْ مَالِكٍ ، وجعلت مَالِكًا حُجَّةً فِيمَا بَيْنِي وَبَيْنَ اللَّهِ تَعَالَى)) .

عمله في اليمن ، ثم أوبته

رَبَّ الْمَدِينَةَ وَالْأَمَلَ عَلَى الْيَمَنِ ، فَكَلَّمَهُ بَعْضُ الْقُرَشِيِّينَ بِشَأْنِ الشَّافِعِيِّ لَعَلَّهُ يَجِدُ لَهُ عَمَلًا عِنْدَهُ ، فَقَبِلَ مِنْهُمْ ، وَاصْطَحَبَهُ مَعَهُ وَكَلَّفَهُ بَوَاطِنَةً وَبَعْضَ أَعْمَالٍ فَقَامَ بِأَعْبَائِهَا ، وَكَانَ يَأْتِي الْمُعْتَمِرُونَ مِنَ الْيَمَنِ إِلَى مَكَّةَ لِزِيَارَةِ بَيْتِ اللَّهِ الْحَرَامِ فَكَانَتْ أُمَّتُهُ تَسْأَلُهُمْ عَنْهُ فَيُثْنُونَ عَلَيْهِ ، وَكَانَ الشَّافِعِيُّ يَذْهَبُ إِلَى مَكَّةَ بَيْنَ الْفَتْنَةِ وَالْفَتْنَةِ لِيَلْقَى وَالِدَتَهُ ، وَيَزِدَادَ عِلْمًا مِنْ شُيُوخِهِ الْأَقْدَمِينَ وَمَا إِنْ بَلَغَ الْخَامِسَةَ

(١) ضرب: سافر .

عشرة من عمره حتى قال له مسلم بن خالد : أفَتِ ، فقد آنَ لك أن تُفَتِّي .
وكان الشافعي في تلك الفترة نفسها يعلّي من حِفْظِهِ من الموطأ على
الحجّاج المصريين الذين كانوا يزورون المدينة المنورة بعد تأدية الفريضة .

رحلته إلى المشرق

ربّما أحسّ الشافعي من نفسه مقدرة على الحجّاج فإذا به - وهو في
بدء شبابه - يراجع شيخه القول ، فيغضب الإمام مالك ، ويقول له : إذا أردتَ
: فإن قيل قلنا ، فاقصد هنا . وأشار يده إلى جهة العراق ، إشارة إلى أصحاب
أبي حنيفة رضي الله عنهم ، لأنهم أهل نظر وجدال . فخرج المفتي الناشئ من
عند شيخه منفعلًا ، وقصد العراق ، ولقي محمد بن الحسن ، وأخذ عنه
وسافر إلى بلاد فارس يجمع العلم ويقابل العلماء حتى صار ابن إحدى وعشرين
سنة ، ثم عاد إلى العراق ، فولاه الرشيد صدقاتِ نجران ، لكنّ مودّته المتمكنة
لإمام دار الهجرة عرّجت به شطر المدينة المنورة ليراه قد اغتنى ، وصار شيخه
يقسم له منذ ذلك الوقت في كل عام من هداياه ، إلى أن لَبى مالك نداء ربّه
سنة / ١٧٩ هـ .

العالم المجتهد

عاد الشافعيّ إلى مكّة وقد نضجت ثقافته وتبحّر إلى أبعد غاية في فقه
الرأي (الفقه الحنفي) ، إضافة إلى فقه الحديث (مذهب مالك) ، وصار
يفيض على خلق الدارسين من معينه الثرّ ، ولبث على هذه الشاكلة حتى عام
/ ١٩٥ هـ ، عندما ذهب إلى بغداد ، وأقام بها يدرّس ويصنّف .

وزار مكّة ثم عاد إلى العاصمة العباسية عام / ١٩٨ هـ ، ثم سافر منها
إلى مصر سنة / ١٩٩ هـ ، فأكرمه الخاصّ والعامّ ، وسار ذكره في البلدان

وقصده الناس من الشام واليمن والعراق وسائر الأقطار ليأخذوا عنه الفقه والحديث ، ويتعلموا كتبه ، إلى أن مات سنة / ٢٠٤ هـ .
وكان له ولدان ، محمد وكان قاضياً في حلب والحسن ، ومات وهو طفل
وبنتان هما فاطمة وزينب .

أخلاقه وعلمه

لم يعرف للإمام الشافعي صَبْوَةٌ لا في شباب ولا كهولة ، وقد سمع
الحارث بن لييد يتلو يوماً ﴿ هذا يومٌ لا ينطقون . ولا يُؤذَن لهم فيعتذرون ﴾
فتغير لونه واقتشعر جلده . ولم يخلف الشافعي بالله تعالى لا صادقاً ولا كاذباً .
وكان يختم القرآن كل ليلة ختمة فإذا كان شهر رمضان ختمه في اليوم مرتين .
وقال الشافعي : ((ما شبت منذ ست عشرة سنة ، لأن الشيع يُثقل البدن
ويقسي القلب ويُزيل الفطنة ويجلب النوم ، ويُضعف صاحبه عن العبادة)) .
وقال أيضاً : ((من ادعى أنه جمع بين حب الدنيا وحب خالقها في قلبه فقد
كذب)) . وكان الشافعي لطيفاً عدلاً كريماً شجاعاً ، ذكياً .

وكان طويل القامة سائل الخدين قليل لحم الوجه ، خفيف العارضين
طويل العنق ، آدم (أسمر) حسن الصوت ، أليف السمّت ، فصيحاً ، ذاهية .
ولم يكن الشافعي فقيهاً مجتهداً ، ومحدثاً عظيماً فقط ، بل كان عالماً
بكلام الصحابة ، والتفسير ، والقراءات ، والأنساب ، والتاريخ ، والطب
والرمي ، وكان صادق الفراسة صافي النفس نافذ البصيرة ، حجة في اللغة
والنحو ، راوية للشعر . وقال أحمد بن حنبل : ((ما أحد مسَّ يده حبرة ولا
قلماً إلّا وللشافعي في رقبته منّة)) . وقال أبو عبيد القاسم بن سلّام : ((ما
رأيت رجلاً قط أكمل من الشافعي)) .

وَأَلَّفَ الشَّافِعِيُّ /١٧٥/ كِتَاباً فِي عُلُومِ شَيْئٍ ، سَرَدَ ابْنُ النَّدِيمِ فِي كِتَابِهِ
الْفَهْرَسْتِ ، وَكَذَلِكَ يَأْقُوتُ فِي مَعْجَمِ الْأَدْبَاءِ ، أَسْمَاءَ مِئَةِ مِنْهَا عَلَى وَجْهِ
التَّقْرِيبِ .

شعره

ترك الإمام الشافعي مجموعة من الأشعار مفرقة في بطون تراجمه من
كتب الفقه والحديث والأدب والتراجم ، وهي مجموعة تُسَلِّكُ في الشعر الديني
الذي يدعو إلى الخير ، وينمّي منازع الإنسان الصالحة حتى تزداد وتقوى ، في
الوقت الذي يدعو إلى مجاهدة كل الميول والأهواء والرغائب التي تنتهي به - إنْ
تولّاهما - إلى الانحدار والارتكاس والميوط . ومن هنا كانت الحكمة أوّل
أغراض الشافعي في قريضه (١)

الحكمة

تدور الحكمة في شعر الشافعي على التأمل وما يكون وراءه من اعتبار
بالتجارب العريضة ، واهتداء للإيمان ، وللقواعد النافعة في الحياة ، وما يرفع
ذلك إليه من مواعظ وأخلاق .

تأمل في العاقبة

يَتَبَصَّرُ الشَّافِعِيُّ فِي مَعَادِهِ الْمُخْتَوِّمِ : هَلْ هُوَ جَنَّةٌ هَنِيئةٌ أَوْ نَارٌ مُتَلَطِّيةٌ ؟ . إِنَّ
مَنْ يَدْرِي هَوْلَ ذَلِكَ الْيَوْمِ لِيَذِرْفَ الدَّمْعَ تَلَوِّ الدَّمْعِ ، وَيَقْطَعَ اللَّيْلَ تَفْكِيراً وَذِكْراً
وَيُقِلَّ الْكَلَامَ فِيمَا سِوَى الذِّكْرِ :

فَمَا لَيْتَ شِعْرِي ، هَلْ أَصِيرُ لَجَنَةً فَأَهْمَا ، وَإِنَّمَا لِلسَّعِيرِ فَتْنَمَا
فَلَهُ دُرُّ الْعَارِفِ النَّذْبِ ، إِنَّهُ تَسْحُ لِفِرْطِ الْوَجْدِ أَجْفَاهُ نَمَا (٢)

(١) القريض : الشعر . (٢) التذب : التحيب .

يُقِيمُ إِذَا مَا اللَّيْلُ جَنَّ ظِلَامُهُ عَلَى نَفْسِهِ مِنْ شِدَّةِ الْخَوْفِ مَا قَامَا
 قَصِيحاً إِذَا مَا كَانَ فِي نَكْرِ رَبِّهِ وَفِيمَا سِوَاهِ فِي الْوَرَى كَانَ مُعْجِماً
 ذلك المصير هو المهيب الرهيب ، وهو ما يخالف مألوف الشدائد في هذه
 الفانية ، فإن شدائد الدنيا - مهما كانت - زائلة قصيرة ، وإن أيامها لآتية على
 كل نعيم فيها وكلّ ضنك وجائحة (١) :

عَوَاقِبُ مَكْرُوهِ الْأُمُور جُبَارُ وَأَيَّامُ شَرِّ لَا تَدُومُ قِصَارُ
 وَلَيْسَ بِيَّاقٍ بَوْمُهَا وَنَعِيمُهَا إِذَا كَرَّ لَيْلٌ ثُمَّ كَرَّ نَهَارُ
 فكم من طاعٍ في هذه الحياة قد أسرف في بغيه ، ثم انتكس فجأة
 وأحاطت به هموم ثقال ومصائب فادحة فكانت هذه بتلك جزاء مُقْسِطاً وثواباً
 غير جائر :

تَحَكَّمُوا فَاسْتَطَالُوا فِي تَحَكُّمِهِمْ عَمَّا قَلِيلٍ كَأَنَّ الْحُكْمَ لَمْ يَكُنْ
 لَوْ أَنْصَفُوا أَنْصَفُوا ، لَكِنْ بَغَوْا فَبَغَى عَلَيْهِمُ الذَّهْرُ بِالْأَحْزَانِ وَالْعَيْنُ
 فَأَصْبَحُوا وَلِسَانِ الْحَالِ يَنْشُدُهُمْ هَذَا بِذَلِكَ وَلَا عَتَبَ عَلَى الزَّمَنِ

الإيمان بالله واليوم الآخر

شَهِدْتُ أَنَّ اللَّهَ لَا رَبَّ غَيْرُهُ وَأَشْهَدُ أَنَّ الْبَيْتَ حَقٌّ وَأَخْلَصُ
 وَأَنَّ عَرَى الْإِيمَانِ قَوْلٌ مُبَيَّنٌ وَفَعَلَ زَكِيٌّ قَدْ يَزِيدُ وَيَنْقُصُ
 والإيمان كنز للآخرة ، إذا كان الذهب كنز الحياة الدنيا :
 وَعَالِمٌ أَنَّ كَنْزَ الْأَرْضِ مِنْ ذَهَبٍ فَاجْعَلْ كَنْزَكَ مِنْ بَرٍّ وَإِيمَانٍ
 وإرادة الله تعالى هي الماضية ، وحُكْمُهُ هو النافذ ، يعلم - منذ أن خلق
 الناس - ماذا سوف يصيبون ، وما سيكون عليه أمرهم :

مَا شَفَتَ كَانُ ، وَإِنْ لَمْ أَشَأْ وَمَا شَفَتَ - إِنْ لَمْ تَشَأْ لَمْ يَكُنْ

(١) جائحة : مصيبة .

خَلَقْتَ الْعِبَادَ عَلَى مَا عَلِمْتَ فِي الْعِلْمِ يَجْرِي الْفَنَى وَالْمَسْنُ
فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَمِنْهُمْ سَعِيدٌ وَمِنْهُمْ قَبِيحٌ وَمِنْهُمْ حَسَنٌ
إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى مَالِكُ الْمُلْكِ ، إِذَا رَجَاهُ عِبَادُهُ رَزَقَهُمْ ، وَهُوَ خَبِيرٌ حَكَمٌ
عَدْلٌ لَا يَظْلِمُ نَفِيراً (١) ، وَعَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْعِبَادُ فَيَرْزُقُهُمْ وَيَقْسِمُ بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ :
تَوَكَّلْتُ فِي رِزْقِي عَلَى اللَّهِ خَالِقِي وَأَيَقَنْتُ أَنَّ اللَّهَ لَا شُكَّ رَازِقِي
وَمَا كَانَ مِنْ رِزْقِي فُلَيْسُ يَفُوتُنِي وَلَوْ كَانَ فِي قَعْرِ الْبَحَارِ الْغَوَاسِقُ
سَيَأْتِي بِهِ اللَّهُ الْعَظِيمُ بِفَضْلِهِ وَلَوْ لَمْ يَكُنْ مِنِّي اللَّسَانُ بِنَاطِقِ
فِي أَيْ شَيْءٍ تَذْهَبُ النَّفْسُ حَسْرَةً وَقَدْ قَسَمَ الرَّحْمَنُ رِزْقَ الْخَالِقِ

الْعَبَرُ

كَانَ تَأَمَّلَ الشَّافِعِيُّ يُلْفَعُهُ إِلَى التَّبَصُّرِ فِي تَحَارِبِ الْحَيَاةِ الْوَاسِعَةِ
وَاسْتَشْرَافَ عِبَرَهَا الْوَاعِيَةَ وَقَوَاعِدَهَا الْحَكِيمَةَ الْمَصْطَفَاةَ .

الثَّرَاءُ مِنَ اللَّهِ

مَنْ الْخَطَأُ أَنْ يُوَهَّبَ الْإِنْسَانُ الْخَيْرَ ثُمَّ لَا يَنْفَقُهُ فِي سَبِيلِ لِيَكْسِبَ أَجْرَ اللَّهِ
تَعَالَى وَشُكْرَانَ النَّاسِ ، وَيَقْطِفُ ثَمَرَةَ حَظِّهِ ، فَيَاخُظُ يَغْنَى النَّاسَ ، وَالْقَدَرُ غَالِبٌ
عَلَى أَمْرِهِ :

إِنَّ الَّذِي رَزَقَ الْيَسَارَ وَلَمْ يُصِيبْ حَمْدًا وَلَا أَجْرًا لَغَيْرُ مَوْفِقِ
فَالْجَدُّ يُنْكِي كُلَّ أَمْرٍ شَاسِعٍ وَالْجَدُّ يَفْتَحُ كُلَّ بَابٍ مُغْلَقِ
وَإِذَا سَمِعْتَ بِأَنَّ مَجْدُودًا حَوَى عَوْدًا فَلَوْرِقِ فِي يَدَيْهِ فَحَقِّقْ
وَإِذَا سَمِعْتَ بِأَنَّ مُحْرُومًا أَتَى مَاءً لِيَشْرِبَهُ ففَاضْ فَصَدِّقْ
لَوْ أَنَّ بِالْحَيْلِ الْغَنَى لَوَجَدْتَنِي بِنُجُومِ أَرْجَاءِ السَّمَاءِ تَطْقِي
لَكُنْ مِنْ رِزْقِ الْحَجَا حَرِمَ الْغَنَى ضِدَّانِ مُفْتَرِقَانِ أَيْ تَفَرِّقُ

(١) النقيير : النكته في ظهر النواة .

وأحقُّ خَلْقِ اللَّهِ بِاللَّهِ امْرُؤٌ نُوْهُمََّةٌ يُكَلِّى بِعَيْشِ ضَيْقِ
ومن الدليل على القضاء وكونه بؤس اللَّبِيبِ وطيبُ عَيْشِ الْأَحْمَقِ

الفقر ابتلاء

لَا يُذْرِكُ الْحِكْمَةَ مَنْ عَمِرَ يَكْذِبُ فِي مَصْلَحَةِ الْأَهْلِ
وَلَا يَنْالُ الْعِلْمَ إِلَّا فَتًى خَالٍ مِنَ الْأَفْكَارِ وَالشُّغْلِ
لَوْ أَنَّ لِقَمَانَ الْحَكِيمِ الَّذِي سَارَتْ بِهِ الرِّكْبَانُ بِالْفَضْلِ
بُلْبُلِي بِفَقْرٍ وَعِيَالٍ لَمَّا فَرَّقَ بَيْنَ اللَّتَنِ وَالْبَقْلِ

وأعرض عن الجاهلين

قَالُوا سَكَتَ وَقَدْ خَوَّصْتَنِي قُلْتُ لَهُمْ إِنَّ الْجَوَابَ لِبَابِ الشَّرِّ مِفْتَاحُ
فَالصَّنْتُ عَنْ أَحْمَقٍ أَوْ جَاهِلٍ كَرَمٌ وَفِيهِ أَيْضاً لِمَوْنِ الْعَرَضِ إِصْلَاحُ

مراعاة مَنْ تَعَاشَرَهُ

وَأَنْزَلَنِي طَوْلُ النَّوَى دَارَ غُرْبَةٍ بِجَاوِرِنِي مَنْ لَيْسَ مِثْلِي يُشَاكِلُهُ (١)
أَحَامِقُهُ حَتَّى يَقَالَ سَجَرَةً وَلَوْ كَانَ ذَا عَقْلٍ لَكُنْتُ أَعَاظِلُهُ

لَا تَوْتِ الْعِلْمَ غَيْرَ أَهْلِهِ

فَمَنْ حَوَى الْعِلْمَ ثُمَّ أَوْدَعَهُ بِجَهْلِهِ غَيْرَ أَهْلِهِ ظَلَمَهُ
وَكَانَ كَالْمَبْتَدِي الْبِنَاءِ إِذَا تَمَّ لَهُ مَا أَرَادَهُ هَمَمَهُ

العالم والسفيه على طرفي نقيض

إِنَّ السُّفَهَاءَ لَا يَقِيمُونَ لِعَارِفٍ وَزناً ، وَلَا يَقْدَرُونَ لَهُ عِلْماً ، بَلْ يَلْجَوْنَ
فِي مُخَالَفَةِ مَقَالَاتِهِ مَا اسْتَطَاعُوا ، وَهُوَ مِنْ جَانِبِهِ يَسْأَمُ عَشْرَتَهُمْ ، وَيتَجَانَبُ
بِحَالِستِهِمْ :

(١) يشاكله : يماثله .

ومنزلة السفية من الفقيه
فهذا زاهد في قرب هذا
كمنزلة الفقيه من السفية
وهذا فيه أزهى منه فيه
إذا غلب الشقاء على سفيه
تنطع في مخالفة الفقيه

اجترأ الناس على انتقاص الآخرين

ليس أحدٌ بسالم من السنة الناس ، أو من سفهاتهم ، حتى المصطفى
صلى الله عليه وآله وسلم ، إنهم إذا رأوك صامتاً رموك بالبكامة (١) ، وإذا
وجدوك فصيحاً اتهموك بالثرثرة ، وإذا ألفوك صائم نهار قائم ليل قنفوك
بالرياء ..

وما أحدٌ من السنن للناس سالماً
فإن كان سكيناً يقولون أنكَم
ولو أنه ذاك النبي المطهرُ
وإن كان منطيقاً يقولون أهنرُ (٢)
وإن كان صواماً وبلايل قلعاً
يقولون زراق يرالي ويمكرُ (٣)

الترفع عن اللدد

لقد أسمع القول الذي كاذ كلاً
وأبدي لمن أبداه مني بشاشة
تكرنيه النفس قلبي يصنعُ
كلني مسرور بما منه أسمعُ
وما ذاك من عجب به غير أنني
أرى ترك بعض الشر للشر أقطعُ

الصديق وقت الضيق

صديق ليس ينفع يوم بأسٍ
ولا يرجى الصديق بكل عصرٍ
قريب من عدو في القياس
ولا الإخوان إلا للتأسي

(١) البكامة : الخرس .

(٢) الهادر : السناقط .

(٣) الزرق : الكذب .

أريدُ حياءَه (١) ويريد قَتلي

ومن الشقاوة أن تحبَّ ومن تحبَّ يحبُّ غيرك
أو أن تريد الخير للإنسان وهو يريد ضررك

ما كلُّ من أراد الخير ببالغه

رامَ نفعاً فضرَّ من غير قصدٍ ومن البرِّ ما يكونُ عقوقاً

الطبيب السقيم

جاءَ الطبيبُ يجسني فجسنته فإذا الطبيبُ لما به من حالٍ
وغدا يعالجني بطولِ سقامه ومن العجائب أعمشُ كخالٍ (٢)

من صبر ظفر

بقدر الكد تكتسبُ المعالي ومن طلبَ العلا سهرَ اللَّيالي
ومن رامَ العلا من غير كدٍ أضاعَ العمرَ في طلبِ المحالِ
تروم العزَّ ثم تسلمَ ليلاً بغوصِ البحرِ من طلبِ اللَّالي

العمل بلا توفيق خبيثة

إن النسر - على قوته - يطعمُ الجيفَ المنيئة، والذباب - على قلة شأنه - ينال أشهى أنواع العسل !

أكل العُقابُ بقوةٍ جيفَ الفلا وجنى الذبابُ الشَّهْدَ وهو ضعيفُ

كتمان السرِّ

إذا المرءُ أفشى سِرَّه لصديقه ودلَّ عليه غيره فهو أخفقُ
إذا ضلَّ صدْرُ المرءِ عن سرِّ نفسه فصدرُ الذي أودعته السرَّ أضيقُ

(١) حيا : أعطى .

(٢) في البيت إقواء .

مشاقَّ الغُربة

إنَّ الغريبَ له مَخَافَةٌ سارقٍ وخضوعٌ مديونٍ وذلَّةٌ وامقٍ
وإذا تَنَكَّرَ أهلُه وبلادُه ففؤاده كجَناحِ طيرٍ خافقٍ

العلم يَمَّ خِصَمَ

كلَّما أَتَيْتَنِي الدَّهْرُ أراني نَقصَ عَقْلي
وإذا ما أَزِدْتَنُ عِلْماً زانِي عِلْماً بَجهلي

أَرْقَى النَّاسُ بِالْمَرْءِ نَفْسَهُ

ما حَكَّ جِلْدُكَ مِثْلَ ظَفَرِكَ قَوْلُ أَنتَ جَمِيعِ أَمْرِكَ
وإذا قَصِدْتَ لِحَاجَةً فاقْصِدْ لِمَعْرِفٍ بِفَضْلِكَ

الدُّنْيَا سَرَابٌ خِلَابٌ ، وَجِيفَةٌ نَتْنَةٌ

وَمَنْ يَنْقُ الدُّنْيَا فَاتِي طَعْمُهَا وَسِيقُ إِلَيْنَا عَذْبُهَا وَعَذَابُهَا
قَلَمَ أَرَاهَا إِلَّا غُرُوراً وَبِاطِلاً كَمَا لَاحَ فِي ظَهْرِ الْفَلَاةِ سَرَابُهَا
وَمَا هِيَ إِلَّا جِيفَةٌ مُسْتَحِيلَةٌ عَلَيْهَا كَلَابٌ مِهْمَمٌ اجْتَذَابُهَا (١)
فَإِنْ تَجْتَنِبُهَا كُنْتَ سَلِماً لِأَهْلِهَا وَإِنْ تَجْتَنِبُهَا نَازَعَتْكَ كِلَابُهَا

تَسَامَ عَنِ الطَّامِعِينَ وَارْقُبْ نَهَائِيَتَهُمْ

بَلَوْتُ بَنِي الدُّنْيَا قَلَمَ أَرُ فِيهِمْ سَوَى مَنْ غَدَا وَالْبُخْلُ مَلَأَ إِهَابَهُ (٢)
فَجَرَنْتُ مِنْ غَمَدِ الْقَنَاعَةِ صَارِماً قَطَعْتُ رَجَائِي مِنْهُمْ بِئْسَ بَابُهُ (٣)
فَلَا ذَا يَرَانِي وَاقِفاً فِي طَرِيقِهِ وَلَا ذَا يَرَانِي قَاعِداً عِنْدَ بَابِهِ
غَنِيٌّ بِلَا مَالٍ عَنِ النَّاسِ كُلِّهِمْ وَلَيْسَ الْقَنَى إِلَّا عَنِ الشَّيْءِ لَا بِهِ
إِذَا ظَلَمَ يَسْتَحْصِنُ الظُّلْمَ مَذْهِباً وَلَجَّ غَتَّوْا فِي قَبِيحِ اكْتِسَابِهِ
فَكَيْلُهُ إِلَى صَرْفِ اللَّيَالِي فَاتِّهَا مُسْتَبْدِي لَهُ مَا لَمْ يَكُنْ فِي حِصَابِهِ

(١) مستحيلة : متغيرة ، فاسدة . (٢) الإهاب : الجلد . (٣) الذباب : حد السيف .

فكم قد رأينا ظالماً متمرداً يرى النجم تيهاً تحت ظل ركابه
فصاً قليل وهو في غفلاته أتلفت صروف الحادثات بيه
فأصبح لا مال ولا جاه يرتجي ولا حسنة تلتقي في كتابه
وجوزي بالأمر الذي كان فاعلاً وصب عليه الله سوط عذابه

الموت بالمرصاد

ومتعب العيس مرتاح إلى بلد والموت يطلبه من تلك البلد (١)
وضاحك والمنيا فوق مقره لو كان يعلم غيباً مات من كمد (٢)

الزم الحق والصدق

أرى راحة للحق عند قضائه ويثقل يوماً ، إن تركت على عند
وحسبك حظاً أن ترى غيركاذب وقولك لم أعلم وذاك من الجهد
ومن يقض حق الجار بعد ابن عمه وصاحبه الأئني على القرب والبعد
بعش سيداً يستعذب الناس نكره وإن نابّه حق أتوه على قصد

أن تعيش وحيداً خيراً لك من مجالسة السفه

إذا لم أجد خلّاً تقياً فوحدي ألد وأشهى من غوي أعشيرة
وأجلس وحدي للسفاهة أمناً أقر لعيني من جليس أحلرة

أكرم نفسك

زن من وزنك بما اتزنت وما وزنك به فزنت
من جا إليك فرح إليه ومن جفاك فصدت عنه
من ظن إليك بونه فاترك هواه إذا وهنه
وارجع إلى رب العباد فكل ما يأتيك منه

(١) العيس : النوق .

(٢) كمد : حزن .

الزهد

أمتُ مطامعي فأرختُ نفسي فإن النفسَ ما طمعتَ تهونُ
وأحييتُ القنوعَ وكان ميتاً ففي إحيائه عرضي مصُونُ
إذا طمعَ يحلّ بقلبِ عبدٍ علته مهلةٌ وعلاهُ هُونُ

حَذَارِ حَذَارِ الدُّنْيَا

يا مَنْ يُعَانِقُ دُنْيَا لَا بَقَاءَ لَهَا يُنْسِي وَيَصْبِحُ فِي دُنْيَاهِ سَفَّارَا
هَلَا تَرَكْتَ لَدِي الدُّنْيَا مَعَانِقَهُ حَتَّى تَعْتَقَ فِي الْفَرْدُوسِ أَبْكَارَا
إِنْ كُنْتَ تَبْغِي جَنَانَ الْخُلْدِ تَسْكُنُهَا فَيَنْبَغِي لَكَ أَلَّا تَأْمَنَ النَّارَا

إِنَّ الْمُلُوكَ بَلَاءٌ حَيْثُمَا حَلُّوا فَلَا يَكُنْ لَكَ فِي أَبْوَابِهِمْ ظِلُّ
مَاذَا تَوَكَّلَ مِنْ قَوْمٍ إِذَا غَضِبُوا جَارُوا عَلَيْكَ وَإِنْ أَرْضِيَتْهُمْ مَلُّوا

لَذُلُّ الْمُسْأَلِ وَهَوْلُ الْمَمَاتِ كَلَّا وَجَدْنَاهُ طَمَعاً وَبِيلاً
فَإِنْ كَانَ لَا بَدَأَ إِحْدَاهُمَا فَمَشَى إِلَى الْمَوْتِ مَوْتاً جَمِيلاً

أَقْسَمُ بِاللَّهِ لِرَضْنِخِ النَّوَى وَشَرِبَ مَاءَ الْقَلْبِ الْمَالِحَةِ (١)
أَحْسَنُ بِالْإِنْسَانِ مِنْ حِرْصِهِ وَمَنْ سَوَّالِ الْأَوْجِهَةِ الْكَالِحَةِ

صُنْ بِمِلْحِ الْجَرِيشِ خَبِزَ الشَّعِيرِ وَاعْتَقِبْ لِلنَّجَاةِ ظَهَرَ الْبَعِيرِ
وَجِبِ الْمَهْمَةُ الْمَخُوفَ إِلَى طَنْجَةٍ - أَوْ خَلْفَهَا إِلَى الْبُرْ نُرُودِ
وَصُنْ الْوَجْهَ أَنْ يَنْزِلَ وَأَنْ يَخْضَعَ - إِلَّا إِلَى اللَّطِيفِ الْخَبِيرِ

(١) رَضْنِخِ النَّوَى : كَسَرَهُ . الْقَلْبُ : الْآبَارُ .

العلم

مع العلم فاسلك حيثما سلك العلم وعنه فسال كل من عنده فهم
ففيه جلاء للقلوب من العمى وعون على الدين الذي أمره حكم
فبني رأيت الجهل يزري بأهله وذو العلم في الأقوام يرفعه العلم
وخالط رواة العلم واصحب خيارهم فصحبهم نفع وخلطتهم غم
ولا تغنون عنك عنهم فيتهم نجوم هدى ما مثلهم في الورى نجم

الحر من دان نفسه

نعيب زماننا والعيب فينا وما لزماننا عيب سوانا
وقد نهجو الزمان بغير جرم ولو نطق الزمان به هجانا
وليس الذنب يأكل لحم ننب ويأكل بعضنا بعضاً عينا

حسن المعاشرة

إذا شئت أن تحيا سليماً من الأذى وحظك موفور وعرضك صين
لمالك لا تذكر به عورة امرئ فكلك عورات وللناس أسن
وعينك إن أبدت إليك معايباً فدعها وقل يا عين للناس أعين
وعاشر بمعروف وسامح من اعتدى وفارق ولكن بالتي هي أحسن

الخاتمة

لعله استبان من الأمثلة المتقدمة من شعر الشافعي أنه شعر حسن بصورة عامة ،
يحتوي على المعاني الشريفة ، والألفاظ المختارة ، والتراكيب المحكمة ، والسياق
المنساب ، والقافية المنسجمة مع حشو الأبيات .